قيم المواطنة في الفكر الجزائري ـ الواقع والأفاق ـ

فيداح صالح
باحث، جامعة وهران 02

****

تاريخ الإرسال: 2018/02/24 تاريخ القبول: 2018/06/16 تاريخ النشر: 2018/06/30

الملخص:

لا شك أن التغيير في أنماط السلوك الانساني يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتغيير في أنساق القيم التي تعتبر من أهم محددات تشكيله، وهذا التغيير يعد مطلباً أساسياً لبناء الدولة المعاصرة المرتكزة على قيم الحداثة أهمها : قيم المواطنة، الديمقراطية وحقوق الانسان. تلك القيم تشكل المدخل الرئيس لإعادة بناء المجتمع وتوجيهه نحو غاياته المنشودة في الحرية، العدالة، المساواة، التسامح والتنمية. وفي هذا السياق تكفي نظرة متفحصة (تلزم نظرة متفحصة، لأن الاكتفاء يكون للسطحي لا المتصفح)إلى واقع المجتمع الجزائري للوصول إلى استنتاج عام حول مدى قدرته في محاولة تجاوز كل الأوضاع المفجعة والمأساوية التي انقلبت فيها كل القيم الأخلاقية خاصة تلك المرتبطة بروح المواطنة في ظل التحديات الداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: الدولة؛ المواطنة؛ مواطنة عالمية؛ العولمة؛ قيم المواطنة.

Summary:

There is no doubt that the change in the patterns of human behavior is closely linked to the change in the form of values, which is one of the most important determinants of its formation. This change is a fundamental requirement for building a modern state based on the values of modernity, the most important of which are the values of citizenship, democracy and human rights. These values are the main entrance to rebuilding society and guiding it towards its goals of freedom, justice, equality, tolerance and development. In this context, a closer look is needed (because it is necessary to be superficial, not browser) to the reality of Algerian society to reach a general conclusion about its ability to try to overcome all the tragic and tragic situations in which all ethical values, Internal and external.

Keywords : State; Citizenship; Cosmopolitism; Globalization; Values of citizenship.

مقدمة:

يعتبر مبدأ المواطنة من المبادئ الهامة في تلاحم المجتمعات، فالمواطنة كفكرة اجتماعية وقانونية وسياسية ساهمت في تطوير المجتمع الإنساني، وكذا الرقي بالدولة إلى المساواة والعدل والديمقراطية وضمان الحقوق والواجبات، والمتتبع لتاريخ المفهوم يجده يرتبط بأساس فلسفي قديم من خلاله ارتبطت بمفهوم الدولة والمدنية، وعلى هذا فالمواطنة هي الانتماء إلى مجتمع يشترك أفراده بروابط اجتماعية وسياسية وثقافية في دولة معينة.

إن محاولة تأصيل هذا المفهوم في واقعنا العربي يحتاج إلى إعادة الرؤية للكثير من القضايا الفكرية والسياسية، وبالتالي العمل على التأسيس لمشروع ننتقل فيه من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي لترسيخ قيم المواطنة في إطارها الفعال خاصة أمام التحديات التي نواجهها. وكذا، التحوّلات السياسية خاصة في الجزائر وهذا ما يجعل المواطن الهدف الأساسي الذي يجب أن نستثمر فيه لتحقيق المواطنة في ظل التغيرات التي تطرأ على العالم، وكذا المعطيات الراهنة في مجتمعاتنا خاصة أمام التيار الجارف للعولمة.

فالمواطنة هي المشاركة في الوطن والمساواة الكاملة أمام القانون في الحقوق والواجبات التي كرستها المواثيق الدولية وتضمنتها الدساتير، بالإضافة إلى قيم المشاركة والحرية والمسؤولية الاجتماعية. ومن المؤكد أن قيم المواطنة تتراجع حين تتآكل هيبة الدولة أو حينما يحدث تمييز بين المواطنين على خلفيات عرقية أو مذهبية.

إذن المواطنة ليست مجرد وضعية قانونية شكلية، وإنما ذهنية وسلوك وثقافة وقبل ذلك هي حقوق وواجبات واحترام متبادل بين المواطنين، واعتراف بالتنوع بين المواطنين وتقاسم في القيم والعادات والتقاليد والهوية الجماعية في ظل التكافل الاجتماعي والفرص المتكافئة في التعليم والعمل والمعاملة المشتركة.

و انطلاقا مما سبق،ن سنحاول أن نعرض السبل التي تهدف إلى ترسيخ وتعزيز قيم المواطنة مثل قيم المساواة والمسؤولية ، المشاركة الحرية وغيرها من القيم الأخرى التي تشكل ركائز المواطنة وعناصرها الأساسية.

1. مدخل مفاهيمي:

- **مفهوم الدولة:**

الدولة في اللغة، تعني الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول...دالت الأيام دارت والله يداولها بين الناس. وأمَّا في الإصطلاح، فهي جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه عن غيره من المجتمعات المماثلة له، فالدولة إذن هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموع من الأفراد يؤلفون أمة (Nation) ".[1]

كما يمكن اعتبار الدولة عبارة عن "تجمع سياسي يؤسس كيانا ذا اختصاص سيادي في نطاق إقليمي محدود ويمارس السلطة عبر منظومة من المؤسسات الدائمة، وبالتالي فإن العناصر الأساسية لأي دولة هي الحكومة والشعب والإقليم بالإضافة إلى السيادة...فالدولة هي صاحبة القوة العليا تعلو فوق أي تنظيمات أو جماعات أخرى داخل الدولة".[2]

إن مفهوم الدولة يتأسس على مجموعة من الأفراد الذين يمارسون نشاطاتهم المختلفة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية على إقليم جغرافي محدد، فهي كيان سياسي منظم في ظل حكومة وسيادة، مما يجعل منها عاملا أساسيا في استمرارية المجتمع البشري، لذلك نجد أن الفكر الغربي والإسلامي كلاهما "يشتركان في ضرورة وجود دولة".[3]

و بهذا، فإن تثبيت الوجود الاجتماعي يشترط وجود الدولة كسلطة قادرة على تنظيم الشأن العام والتوفيق بين المصالح المتقابلة للأفراد بما يضمن استمرار المجتمع وتماسكه، فالإنسان "حيوان سياسي بطبعه...لذا عندما نتكلم عن حالة طبيعية سابقة عن حالة المجتمع نتكلم عن حالة حيوانية وعندما نتصور فردا خارج الدولة نتصور

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الجزء الأول، بيروت، لبنان، 1982، ص.568.

[2] الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، الصفحة الرئيسية، دولة/https://ar.wikipedia.org/wiki

[3] أحمد بوعشرين الأنصاري: مفهوم الدولة في الفكر الغربي والاسلامي. دراسة مقارنة لبعض النصوص التأسيسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص.33.

فردا غير إنساني: حيوان أو ملك"[1]. هذا ما جعل أرسطو يعتبر وجود الدولة ضرورة طبيعية والغاية من وجودها هو تحقيق السعادة للمواطنين.

- **مفهوم المواطنة:**

إن أصل كلمة المواطنة يعود إلى الحضارة اليونانية، فالمواطنة من "(polis) وكانت تعني المدينة باعتبارها بناء حقوقيا ومشاركة في شؤون المدينة، كما تستعمل كلمة المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (citoyenneté) وهي مشتقة من كلمة (cité)، وتقابلها باللغة الانجليزية كلمة (citizenship) المشتقة من كلمة (city) أي المدينة".[2]

والمواطنة في معناها اللغوي فهي مشتقة من "وطن. الوطن المنزل نقيم به وهو موطن الإنسان ومحله والجمع أوطان...يقال أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها...و أوطنت الأرض ووطنتها توطينا أي اتخذتها وطنا".[3]

وبهذا تصبح المواطنة في جوهرها تعبيرا عن "وضعية الفرد في الدولة التي ينتمي إليها وتبين مكانته أو قيمته التي تقاس بمدى حصوله على حقوقه من جهة، ووظيفته التي تتحدد بمدى أدائه لواجباته من جهة أخرى، بحيث تتوزع الحقوق على جملة حقول(الحقوق المدنية: كالتنقل، والإقامة، والزواج...الخ، الحقوق السياسية: كالانتماء السياسي وحق التظاهر والاحتجاج لسلمي...الخ، الحقوق الاجتماعية: كالصحة والعمل...الخ الحقوق الثقافية: التربية والتعليم، المشاركة في الحياة الثقافية والتعبير عن الرأي...الخ، فيما تشتمل الواجبات على واجبي الخضوع أو الالتزام بقوانين الدولة وواجب الدفاع عن الوطن".[4]

إن المواطنة هي تلك العلاقة التي تجمع بين الفرد ودولته تتحدد في إطار الدستور والقوانين وتتأسس على مبدأ المساواة بين جميع المواطنين، وهذا يقتضي عدم التمييز بينهم على أساس اللون أو الجنس أو الدين أو الانتماء السياسي والفكري، "فالوطن الذي تتعدد أصول مواطنيه العرقية وعقائدهم وانتماءاتهم الثقافية والسياسية لا يمكن ضمان وحدته إلا على أساس مبدأ المواطنة الذي يرتكز على منظومة قانونية وسياسية

[1] عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة، المغرب، 2006، ص.18.
[2] ديلمي فلاق، حفاف لويزة: مفهوم السيادة والمواطنة عند جون جاك روسو، مرجع سابق، ص. 26.
[3] ابن منظور: لسان العرب، المجلد السادس، الجزء 54، ص.4868.
[4] فارح مسرحي: المواطنة من الفكرة إلى الفعل، ورقة بحثية، جامعة باتنة، ص.5.

واجتماعية وأخلاقية متكاملة، والمساواة كمقوم رئيسي للمواطنة تعني أنه لا مجال للتمييز بين المواطنين على أساس الجنس أو اللون أو الأصل العرقي أو المعتقد الديني أو القناعات الفكرية أو الانتماء والنشاط السياسي والنقابي والجمعوي"[1]

وعليه، فإن هذه الخصوصيات لا يجب أن تقف عائقا أمام تحقيق التفاعل والتواصل بين الأفراد، وأمام تحقيق المساواة، وأن لا يكون اختلاف الأفراد مبررا للتهميش والإقصاء، لذلك "يمكن للدولة أن تستمد سيادتها من قيمة المواطنة خاصة عندما تتمثل في سيادة الشعب نفسه بنفسه".[2]

كما أن المواطنة تعد "مفهوما مهما يتوسط بين المجتمع المدني والدولة وتحدد للمواطن كيفية ممارسة حقوقه ومسؤولياته وهي عامل مهم في صحة واستقرار أي نظام حكم...و هي توفر الإطار الشرعي للتجمعات الفردية داخل المجتمع المدني، وهي أكثر من تلك الحالة الشرعية لتحقيق المكاسب الاقتصادية والرعاية الصحية العامة، والتعليم والتربية والأمن الاجتماعي، إنها أيضا توفر الاحساس المشترك بالهوية لكل الذين يملكونها".[3] بالإضافة،نجد دائرة المعارف البريطانية قد عرفت المواطنة " بأنها علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية، وما يصاحبها من مسؤوليات وتصبغ عليه حقوقا سياسية مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة".[4]

كما أن هناك من وصف المواطنة على أنها حالة قانونية، فهي تعطي الأفراد حقوقا في النظام السياسي المنتمي إليه على الأقل كحق التواجد والمشاركة في المنظومة التي تقوم عليها الدولة.[5]

---

[1] علاء الدين عبد الرزاق جنكو: المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، ورقة بحثية، جامعة التنمية البشرية في السليمانية، العراق، ص.36

[2] العيدي صونية: المجتمع المدني...المواطنة والديمقراطية "جدلية المفهوم والممارسة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العددان الثاني والثالث، 2008.

[3] العيدي صونية: المجتمع المدني...المواطنة والديمقراطية "جدلية المفهوم والممارسة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العددان الثاني والثالث، 2008.

[11] حليلو نبيل: دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013، ص.232 .[4]

[5] المرجع نفسه: ص.232.

- **السياق التاريخي لمفهوم المواطنة:**

ارتبط مفهوم المواطنة تاريخيا بحركة النضال التي خاضها الإنسان من أجل العدل والمساواة "و كان ذلك مند قيام الحكومات الزراعية في وادي الرافدين مرورا بحضارة سومر واشور وبابل وحضارات الصين والهند وفارس وحضارات الفينيقيين والكنعانيين وأسهمت تلك الحضارات وما انبثق عنها من ايديولوجيات سياسية في وضع أسس للحرية والمساواة تجاوزت إرادة الحكام فاتحة بذلك آفاقا رحبة لسعي الانسان تأكيد فطرته واثبات ذاته".[1]

هذا الذي فتح المجال أمام الفكر السياسي الاغريقي والروماني في بلورة مفهوم المواطنة الذي يتبين لنا تاريخيا أنه نشأ في ظلّ تيارات فكرية متعددة لذلك فإن مفهوم المواطنة "مفهوم تاريخي شامل ومعقد له أبعاد عديدة ومتنوعة منها ما هو مادي قانوني، ومنها ما هو ثقافي سلوكي، فضلا عن كونها وسيلة أو غاية يمكن بلوغها تدريجيا، لذلك فإن نوعية المواطن في دولة ما تتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري، فالمواطنة خيار ديموقراطي اتخذته مجتمعات معينة عبر مراحل تاريخية طويلة نسبيا، والمواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتسابه إلى وطن".[2]

وبالنسبة للقبائل العربية ففي عرفها السائد كانت تجعل من الفرد مواطنا له حقوق يتمتع بها كما عليه واجبات، فالعرف في القبيلة كان بمثابة عقد اجتماعي يجعل الفرد مواطنا وكانت تمثل القبيلة أنموذجا مصغرا للدولة، وبالنسبة للمسلمين اقتربوا من مفهوم المواطنة وكان ذلك بفضل الاسلام وما حمله من قيم إنسانية تنادي بالعدل والمساواة في الحقوق والواجبات يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾.[3]

كما أن صفة المواطنة ترتبط بالنظام الديمقراطي " ويذهب "بورديو" (G.Burdieau) إلى تعريفها [أي الديمقراطية] على أنها فلسفة الوقت الراهن وأنها طريقة للحياة بل أكثر من ذلك هي دين، ذلك أن الدين هو منطلق كل الأفكار ويعتبرها أساسا تتعلق بحرية

[1] بان غانم أحمد الصائغ: التأصيل التاريخي لمفهوم المواطنة، ورقة بحثية، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل.
[2] المرجع نفسه.
[3] سورة النحل: من الآية 90.

التعبير أكثر من كونها تتعلق بالهياكل والمؤسسات".[1] لذلك فإن " الإنتماء إلى مجتمع سياسي جزءا لا يتجزأ من تعريف المواطنة الحديثة والإنتماء إلى مجتمع سياسي يعني الإنتماء إلى مجتمع تجاوز مقولة المجتمع كما ينظر إليها علماء الاجتماع، أي المجتمع مجردا عن السياسة"[2] كما أن مصطلح المواطن يرتبط ضرورة بمفهوم الدولة "فلا يغدو أحدنا إنسانا إلا بعد أن يصير مواطنا، هذا ما قرره روسو في العقد الاجتماعي، وهي الفكرة التي ستغدي أكثر المحاولات طموحا في خلق مجتمع جديد، أي سلطة سياسية جديدة تولد انسانا جديدا".[3]

وبهذا لا يمكن الحديث عن المواطن خارج الدولة، لأن انتقال الإنسان من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية غير من طبيعة الإنسان "فأصبح مواطنا: لقد حلت العدالة في سلوكه محل الغريزة فأصبح كائنا أخلاقيا بعد أن كان كائنا طبيعيا".[4] فالمواطنة كما فهمها اليونانيون صفة يتصف بها الفرد الأثيني الذي يمتثل للقوانين كما وسعوا من دائرة هذه المواطنة من خلال تصورهم للإنسان مواطنا عالميا.

ويمكن القول بأنه "لا يتسع المجال هنا لسرد التاريخ الطويل لتكوّن المواطنة وظهورها فهناك الكثير من الكتابات الأجنبية التي تحدثت عن ذلك، تارة من ناحية تاريخية توثيقية، وتارة أخرى من نواح فلسفية، ونفسية، واجتماعية، ففي حين ركزت كتابات مفكري عصر التنوير مثل جون لوك وتوماس هوبز وجان جاك روسو على نظرية العقد الاجتماعي ركزت كتابات القرن العشرين على علاقة المواطنة بتصحيح التفاوتات الاقتصادية بين طبقات المجتمع كما في محاضرة "المواطنة والطبقة الاجتماعية" التي قدمها مارشال Marshall في جامعة أكسفورد في 1950".[5]

كما أن تطور مفهوم الحقوق أفرز تعددا في أشكاله ومن بينها حقوق المرأة التي أصبحت تعد "أحد المداخل الرئيسية في فهم المواطنة ومن أبرز منظري هذا المدخل

---

[1] العيدي صونية: المجتمع المدني...المواطنة والديمقراطية "جدلية المفهوم والممارسة"، مرجع سابق، 2008.

[2] علي يوسف: المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية، دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى، 2013، ص.16.

[3] ديلمي فلاق، حفاف لويزة: مفهوم السيادة والمواطنة عند جون جاك روسو، مرجع سابق، ص.45.

[4] محمد عابد الجابري: ليس لأحد أن يلوم الشعوب على عواطفها، العقد الاجتماعي والجمعية التأسيسية، مجلة فكر ونقد، العدد 29، 1999.

[5] سيف بن ناصر بن علي المعمري: التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الواقع والتحديات، مجلة رؤى استراتيجية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 7، 2014، ص.44.

روث ليستر Ruth Lister، في حين ركزت كتابات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين على تفعيل مشاركة المواطنين على المستوى الوطني، وكذلك على الساحة العالمية، حيث تزايد ترديد مصطلحات مثل (المواطنة العالمية Global Citizenship) و(المواطن العالمي Global Citizen)"[1]. فما المقصود بالمواطنة العالمية؟.

- **مواطنة عالمية:**

تقوم هذه النزعة على "اعتبار الإنسانية أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاؤها أفراد البشر جميعا دون اعتبار لاختلافهم في اللغة أو في الجنس أو في الوطن وقد قال بها الرواقيون قديما وقد أخد بها بعض المحدثين والمعاصرين".[2] فالمواطنة العالمية تفترض تجاوز الحدود الجغرافية التقليدية وكذلك تذويب الحدود الدهنية والثقافية والاجتماعية بيننا كبشر، فالمواطنة العالمية تجعل انتمائنا كوني مهتمين بقضايا كونية كبرى، وهذا ما نلمسه في "دعوة هابرماس لمواطنة ما بعد الوطن Citoyenneté post nationale أو المواطنة الكونية التي أصبحت واقعا معيشا...و تزداد الضرورة لتعميم هذا المفهوم في ظل العولمة وسهولة تنقل الأشخاص والأفكار خصوصا وأن المرجعية النظرية له موجودة مند انبثاق هيئة الأمم المتحدة وكذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان".[3]

- **قيم المواطنة:**

إن المواطنة تقوم على عدة قيم كقيمة المساواة التي تعتبر من القيم الهامة التي تبنى عليها المواطنة في الدولة الحديثة وخاصة المساواة دون تمييز في الحقوق والواجبات، وكذلك المساواة أمام القضاء وحق العمل والتعليم.

كما تقوم المواطنة على قيمة الحرية مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية وحرية التأييد أو المعارضة في قضية أو سياسة أو موقف ما، وتشتمل كذلك المواطنة على قيمة المشاركة في الأحزاب السياسية أو الجمعيات والتنظيمات الأخرى التي تعمل على خدمة المجتمع.

إن مفهوم المواطنة يبرز مدى أهمية مشاركة المواطنين في الشأن العام "و لعل هذا الأمر هو مضمون الفكر المعاصر حول الأسلوب الأمثل لضمان تحقيق علاقة ترابط

---

[1] المرجع نفسه: ص.44.

[2] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص.196.

[3] فارح مسرحي: المواطنة من الفكرة إلى الفعل، مرجع سابق، ص.6.

وتعاون بصورة متوازنة بين الفرد ووطنه ومجتمعه، وذلك أثناء ممارسته لأنشطته الحياتية، لذلك يرى الاجتماعيون أن المجتمع القوي هو من يقوم على العلاقة المتبادلة بين الدولة والمواطن على أساس من التضامن والتعاون والقيم المشتركة...فإن ضعفت هذه العلاقة فستبرز الفردية والمصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة وانتشار ظاهرة المادية المفرطة، وضعف الولاء والانتماء للوطن ومن ثم تقلص وتراجع المواطنة الفعلية".[1]

كما أن القيم تختلف من مجتمع لآخر ورغم هذا الاختلاف إلا أن هناك قيما تعتبر بمثابة القاسم المشترك بين مختلف الشعوب والمجتمعات ومن هذه القيم: (حب الوطن، المساواة، العدل، النظام، الالتزام، التوازن، الحرية، المشاركة، الانتماء، الولاء، المسؤولية)، هذه القيم التي تمثل الجانب الإنساني والعالمي لمفهوم المواطنة مع الإشارة إلى أنه قد يضاف أو يحذف منها، كما قد تختلف ترجمة هذه القيم تطبيقيا من مجتمع لآخر.[2]

2. أهمية المواطنة في حياة الإنسان:

إن مفهوم المواطنة لا يكتمل في صورته الحقيقية إلا باكتمال دولة الإنسان أي الدولة المدنية والتي لا تقصي أي فرد مهما كانت معتقداته وانتماءاته فلا يمكن "لأحد أن يكون مواطنا أكثر من الاخر، المواطنة لا تعرف إلا المساواة أمام القانون".[3]

فأهمية المواطنة تكمن في إرساء الثقة بين المواطن والدولة وهذا ما يحقق استقرار المجتمع ولهذا فإن مرحلة الطفولة تعتبر من أهم المراحل "لغرس المفاهيم والمعارف والقيم وخاصة المتعلقة بالوطن، من وطنية ومواطنة وذلك لترسيخها في مرحلة الطفولة وتنشئة الطفل عليها تجعلها عنصرا مكونا في بناء شخصيته...و يجب أن ينشأ مند مراحل عمره على الولاء والانتماء وحب الوطن".[4]

---

[1] عبد الله بن سعيد بن محمد آل عبود: قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2011، ص.73.

[2] المرجع نفسه: ص78

[3] علي يوسف: المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السيادية، مرجع سابق، ص.24.

[4] منال عبد المجيد محمد المسلاوي: بحث عن تفعيل قيم المواطنة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، جريدة صوت الدعاة، 2015.

فالمواطن الصالح هو ذلك الإنسان الفعال في مجتمعه، والمجتمع الإنساني ككل هو ذلك الذي يؤمن بقيم المساواة والعدل بين الجميع دون تفرقة، وهو ذلك الذي يفتخر بانتمائه لأمته ووطنه وهو الذي يساعد في حل المشكلات التي تواجه مجتمعه وعليه " يجب أن لا ننظر إلى أحد كمواطن من الدرجة الثانية ولا نشعره أنه كذلك، ولا نسمح باستغلاله بأي شكل من الأشكال...علينا أن نجتهد لإقامة نظام اجتماعي واقتصادي عادل يسمح لكل إنسان بفرص متكافئة لتحقيق ذاته كإنسان أكمل تحقيق، علينا أن نتخاطب برفق ونتعامل بصدق وتراحم، ونعدل مع الجميع دون أي تحيّز أو تباغض".[1]

كما أن المواطنة تساهم في تطور المجتمع الإنساني وهي تعمل على رفع الخلافات بين الأفراد كما أنها تزيد من الثقة المتبادلة بين الفرد والدولة وتضمن حقوق الإنسان في المجتمع والدولة.

3. المواطنة من النظري إلى الممارسة في الدول العربية:

إن محاولة المقارنة بين التصور الغربي لمفهوم المواطنة في مقابل التصور العربي الإسلامي، يبيّن لنا بوضوح أن الغرب استطاع أن ينتقل بالمفهوم من جانبه النظري إلى سياق التطبيق والممارسة على أرض الواقع في حين أن " مبدأ المواطنة بمعناه الحديث لم يحظ بتأصيل عميق في الفكر القومي العربي التقليدي في القرن العشرين، بل ظل مهجورا من الناحيتين النظرية والتطبيقية".[2]

و عن الأسباب التي تعيق تحقيق المواطنة الفعلية نذكر منها:"تأجيل القضايا الجوهرية للإصلاح السياسي...و النقل الشكلي للديمقراطية إلى بلدان العالم الثالث وتوظيفها لتكريس مصالح الحكام وترسيخ التبعية ما يفسر الإحباطات الكثيرة التي شهدها الوطن العربي تجاه الممارسات الشكلية الجوفاء للديمقراطية في معزل عن المشاركة الفعالة لمعظم أفراد المجتمع وجماعاته في الخيرات واتخاذ القرارات وتحديد الخيارات".[3]

و بهذا فإن الجماهير العربية تتعرض لخيبة أمل مما يؤدي في الكثير من الأحيان إلى الاحتجاجات والصراعات، فإذا "غاب أو ضعف الشعور بالانتماء إلى الوطن فإن ذلك

---

[1] هانز كينغ: نحو أخلاق عالمية، إعلان عالمي صادر عام 1993، مجلة التسامح، عمان، السنة الثانية، 2004،ص.60.

[2] هيا الكعبي: قراء في كتاب، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2004، ص.5

[3] فارح مسرحي: المواطنة من الفكر إلى الفعل، مرجع سابق، ص.7.

ينعكس سلبا على التكامل الاجتماعي، في هذه الحالة يشعر الأفراد بأن الوطن لم يعد لهم والهوية الوطنية لم تعد تستوعبهم فيتجهوا مباشرة إلى ما نطلق عليه "الولاء الأضيق" أي الاحتماء بالقبيلة والعشيرة والجماعة الدينية والمسجد والكنيسة.

و عليه فغياب ونقص أداء الدولة يؤدي إلى نقص التأسيس لمفهوم المواطنة، وهذا ما يستدعي إعادة بناء العلاقة التي تربط بين الفرد والدولة، علاقة أساسها الثقة والمساواة والعدل.

4. السبيل إلى تكريس مفهوم المواطنة بمحتواها القيمي:

إن عملية تكريس مفهوم المواطنة تحتاج إلى شروط وذلك بالانتقال بالمفهوم من مجرد شعارات إلى ممارسة وواقع من خلال توفير المناخ الملائم لذلك، ويكون بتوفر إرادة سياسية حقيقية تقبل الانفتاح على كل الشركاء الفاعلين في المجتمع، ومن جهة أخرى توفر إرادة لدى الأفراد للمشاركة الفعالة والحقيقية، كما أن عملية تجسيد المفهوم تحتاج إلى آليات ثقافية تربوية تعمل على ترسيخ مبدأ المواطنة في الفكر والسلوك وهنا يتجلى الدور الكبير لمؤسسات "المجتمع المدني الذي يتشكل من الجمعيات والنوادي والنقابات...الخ والتي أصبحت في الآونة الاخيرة تولي أهمية كبيرة لترسيخ قيم المواطنة"[1] ويفترض بهذه المؤسسات أن تؤدي دورها في عملية التوعية خاصة عند الأطفال والشباب وتكون البداية بالأسرة.

لقد اتفق كثير من المنظرين والفلاسفة على أن المواطنة يجب أن تشتمل على عدة قيم كقيمة المساواة التي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حق التعليم، والعمل، والجنسية، والمعاملة المتساوية أمام القانون والقضاء، واللجوء إلى الأساليب والأدوات القانونية لمواجهة حصانة موظفي الحكومة بما في ذلك اللجوء إلى القضاء،الذي يجب أن يكون يكون ضامن للحقوق الفدرية والجماعية وكذا المعرفة والإلمام بتاريخ الوطن ومشاكله، والحصول على المعلومات التي تساعد على ذلك.

كذلك تشتمل المواطنة على قيمة الحرية التي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وحرية التنقل داخل الوطن، وحق التعبير والمناقشة بحرية مع الآخرين حول مشكلات المجتمع ومستقبله، وحرية تأييد أو

[1] شابة محمد: المواطنة بين حقيقة المفهوم وتحديات الواقع، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، 2013. http://www.ssrcaw.org

الاحتجاج على قضية أو موقف أو سياسة ما، حتى لو كان هذا الاحتجاج موجهًا ضد السلطات التشريعية، وحرية المشاركة في المؤتمرات أو اللقاءات ذات الطابع الاجتماعي أو السياسي. بيد أن القيمة الأكثر أهمية لدى المواطن هي قيمة المشاركة التي تتضمن العديد من الحقوق، مثل الحق في تنظيم حملات الضغط السلمي على الحكومة أو بعض المسؤولين فيها لتغيرَ سياستها أو برامجها أو بعض قراراتها، وممارسة كل أشكال الاحتجاج السلمي المنظم مثل التظاهر والإضراب كما ينظمها ويكفلها القانون، والتصويت في الانتخابات العامة بكافة أشكالها، وتأسيس أو الاشتراك في الأحزاب السياسية أو الجمعيات أو أي تنظيمات أخرى تعمل لخدمة المجتمع أو لخدمة بعض أفراده، والترشح في الانتخابات العامة بكافة أشكالها. ولكن دون تجاهل دور شبكة التواصل الاجتماعي التي تعمل على تعزيز قيم المواطنة وتشكيل الرأي العام أي تعزيز الانتماء والولاء وحب الوطن، فالجماهير المنتسبة إلى هذا الفضاء الافتراضي بقدرتها العقلية المتطورة وفهمها المتنامي عندما يكتمل ذلك مع تنمية حسها الوطني وإتاحة كل الفرص أمامها للمشاركة الفعلية يمكن أن تصبح أكثر مواطنة وأعمق وطنية وأشد حرصاً على خدمة الوطن في المجتمع الإلكتروني ويمكن بث ذلك محلياً وعالميا.

5. المواطنة في ظل العولمة:

تعد العولمة ظاهرة أثارت الكثير من الجدل والمناقشات الفكرية والتجاذبات السياسية، وهي كلمة تلخص واقعا سياسيا وثقافيا وإعلاميا، ظهرت ملامحه في نهايات القرن العشرين وانتهاء ما كان يعرف بثنائية التوازنات السياسية وظهور عالم أحادي القطبية يريد تنميط السلوك الإنساني. هذا التيار الذي يريد تحويل العالم إلى قرية كونية صغيرة ضمن سلوكية ونمط حياة موحد تابع للسلوكية ونمط الحياة الغربية والأمريكية هذا ما يجعل من تيار العولمة بمثابة "الانقلاب الكوني الخطير".[1]

الذي أصبح ينظر إليه البعض على أنه قدر محتوم لابد منه ولا يمكن تجاهله، فالدولة مثلا في عصر العولمة أصبحت لا تمتلك السيادة التي تتيح لها التحكم في أراضيها ولم تعد حرة في اتخاذ قراراتها في الشؤون الداخلية خاصة في المجال الاقتصادي والحقوقي للمواطنين الأمر الذي سيؤثر على الأفراد وعلاقتهم مع الدولة مما سيجعل المواطن هو نفسه تحت ضغط العولمة يقول الجابري: "العولمة إذن واضحة، إنها

[1] علي حرب: حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2004، ص.11.

تستهدف هي والخوصصة ربيبتها ثلاثة كيانات: الدولة، والأمة، الوطن، وإذا نحن سحبنا هذه الكيانات الثلاثة فماذا عسى أن يبقى؟".[1]

إن التحدي الذي تواجهه لمجتمعات أحدث انقلابا في القيم والظروف والعادات والأفكار وهذا ما أدى إلى اختلال التوازن "فمن جهة هناك سيطرة، وقوة، وعدوان، واستثمار، ومن جهة ثانية هناك سلبية، وقصور، وموقف دفاعي، وشللن لم تعد المسألة مسألة حوار بين الحضارات بل هي تدمير حضارات محلية على يد الحضارة التي غدت شاملة وكونية".

الخاتمة:

نخلص إلى القول أن التجارب التاريخية أفرزت معانٍ مختلفة لمفهوم المواطنة بحسب التيارات الفكرية، السياسية والاجتماعية، وهو ما جعل مفهوم المواطنة من المحاور الأساسية في النظرية والممارسة الديمقراطية الحديثة، لهذا فإن نضج ورقي مفهوم المواطنة يرتبط باكتمال مكوناتها ومسار استقلال الدولة وتمتع المواطن بحقوقه في ظل المساواة دون تمييز، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في المفاهيم التي تؤسس لهذا المبدأ والعمل على ترسيخها من خلال الشروط الكفيلة بذلك.

المصادر والمراجع:

1. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، الجزء الأول، بيروت، لبنان، 1982.
2. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، الصفحة الرئيسية، دولة/https://ar.wikipedia.org/wiki
3. أحمد بوعشرين الأنصاري: مفهوم الدولة في الفكر الغربي والاسلامي. دراسة مقارنة لبعض النصوص التأسيسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.
4. عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة، المغرب، 2006.
5. ديلمي فلاق، حفاف لويزة: مفهوم السيادة والمواطنة عند جون جاك روسو.
6. ابن منظور: لسان العرب، المجلد السادس، الجزء 54.
7. فارح مسرحي: المواطنة من الفكرة إلى الفعل، ورقة بحثية، جامعة باتنة.
8. علاء الدين عبد الرزاق جنكو: المواطنة بين السياسة الشرعية والتحديات المعاصرة، ورقة بحثية، جامعة التنمية البشرية في السليمانية، العراق.
9. زهير الخويلدي: سيادة الدول في ظل عالمية المواطنة، الحوار المتمدن، العدد 2649، 2009 www.ahewar.org
10. العيدي صونية: المجتمع المدني...المواطنة والديمقراطية "جدلية المفهوم والممارسة"، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العددان الثاني والثالث، 2008.
11. حليلو نبيل: دور الأسرة في ترسيخ قيم المواطنة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 11، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013.
12. بان غانم أحمد الصائغ: التأصيل التاريخي لمفهوم المواطنة، ورقة بحثية، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل.

[1] محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص.147.

13. العيدي صونية: المجتمع المدني...المواطنة والديمقراطية "جدلية المفهوم والممارسة"، مرجع سابق، 2008.
14. علي يوسف: المسلمون بين المواطنة الدينية والمواطنة السياسية، دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى، 2013.
15. محمد عابد الجابري: ليس لأحد أن يلوم الشعوب على عواطفها، العقد الاجتماعي والجمعية التأسيسية، مجلة فكر ونقد، العدد 29، 1999.
16. سيف بن ناصر بن علي المعمري: التربية من أجل المواطنة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: الواقع والتحديات، مجلة رؤى استراتيجية، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد 7، 2014.
17. إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
18. عبد الله بن سعيد بن محمد آل عبود: قيم المواطنة لدى الشباب وإسهامها في تعزيز الأمن الوقائي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة الأولى، الرياض، 2011.
19. واقع المواطنة في الجزائر.http://www.politics-dz.com
20. منال عبد المجيد محمد المسلاوي: بحث عن تفعيل قيم المواطنة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، جريدة صوت الدعاة، 2015.
21. هانز كينغ: نحو أخلاق عالمية، إعلان عالمي صادر عام 1993، مجلة التسامح، عمان، السنة الثانية، 2004.
22. سامح فوزي: المواطنة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007.
23. شابة محمد: المواطنة بين حقيقة المفهوم وتحديات الواقع، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، 2013. http://www.ssrcaw.org
24. علي حرب: حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، 2004.
25. محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997.
26. داريوششايغان: أوهام الهوية، ترجمة محمد علي مقلد، دار الساقي، الطبعة الأولى، لبنان، 1993.